الجامعة الجزائرية في ظل أزمة كورونا، من ثلاثية التعليم التقليدي الى ثنائية التعليم الحداثي

University in light of the Corona crisis, from the trilogy of traditional education to The Algerian the modernist dualism

د/ حورية بن يطو.
جامعة أحمد زبانة غليزان/الجزائر

ملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في مفهوم التعليم عن بعد وضبط معاييره، ثم البحث في أهم الأسباب الرئيسية لنجاحه في الجزائر عن طريق التخطيط والتطوير، لتوضيح الاختلاف بين التعليم النظامي والتعليم الالكتروني أو التعليم عن بعد الذي يعتمد أساسا على مبدأ الاتصال المباشر عبر الأقمار الصناعية الى أجهزة الاتصال والاستقبال وشبكة الانترنيت، التي ازدهرت برامج التعليم عن بعد عبرها مؤخرا بصورة ملحوظة، من خلال استخدام المهارات والخبرات وتطبيقاتها.

الكلمات المفتاحية : التعليم الالكتروني ، التعليم النظامي ، المعايير ، التواصل الرقمي ، الأزمة الصحية.

Abstract

This study seeks to research the concept of distance education and set its standards, then research the most important main reasons for its success in Algeria through planning and development at all levels: economic, political, social and cultural, to clarify the difference between formal education, e-learning or distance education that depends Mainly on the principle of direct satellite communication to the communication and reception devices and the Internet, which the distance education programs have flourished through recently remarkably, through the use of skills, experiences and applications.

Key words: e-learning, formal education, standards, digital communication, health crisis.

توطئة :

في ظل التحدّيات المستعصية التي تواجهها غالبية مؤسسات المجتمع اليوم ، بعد ظهور أزمة كورونا العالمية التي شهدت تحولات مفاجئة في مختلف مجالات العلوم الإنسانية،وانعكاس آثارها على نسيج العلاقات الاجتماعية كافة، وبخاصة قطاع التعليم العالي الذي صرف جهده العلمي والعملي بأعلى درجات الكفاءة نحو التعامل مع هذه الجائحة الصّحية، في مسعى وضع خطط واستراتيجيات جديدة ، لمجابهة انقطاع التعليم وإنجاء السنة الدراسية الحالية بشكل فعال ومتاح ، يضمن استمرار ما تبقى من مناهج دراسية مقرّرة وممارسات بيداغوجية لم تستكمل .

لذا بات من الضروري، أن يتوجّه التعليم الجامعي في مختلف دول العالم نحو نظام التعليم عن بعد وتوظيف التكنولوجية الحديثة بشكل فعال كبديل أفضل وناجع لضمان استمرار البرامج البيداغوجية المتعلقة بالدروس النصفية والنهائية ، وما تبقى من اجراءات تقييمية لجميع الأطوار(الليسانس/الماستر/الدكتوراه)،حيث اعتمدت المؤسسات التعليمية على كافة مستوياتها ونوعيتها مستحدثات الكترونية جديدة من برامج وتطبيقات متعدّدة لمواكبة هذا التحول المفاجئ الذي كان له أثره البيّن في التعليم، وتزايدت عمليات الاقبال عليها بشكل قوي ومتنامي، في ظل الوضعية الصّحية الاستثنائية التي طال تأثيرها في شتى مناحي الحياة البشرية والكونية ، بحيث غيّرت من أنماط الاتصال والتواصُل بين الأستاذ والطالب بصورة إيجابية ملحوظة ، لما تقدّمه هذه التقنيات الحديثة من خدمات وتسهيلات تشكل قدرة تحفيزية للطالب، قد يحقّق بها انجازا متميزا وسلوكا مرغوبا فيه ، يؤدي بالضرورة إلى الاستمرار في تحقيق مزيد من الإبداع والمشاركة .

وقد ذللت هذه البدائل التكنولوجية الكثير من العراقيل والعقبات التي واجهت جميع المجالات الأخرى وفي ذروتها التعليم الجامعي، حيث سهلت على الأستاذ سبل نقل الدروس والمحاضرات ومكّنته من تحسين آدائه النظري والتطبيقي بصورة ملحوظة ، كما ساعدت الطالب على تطوير مهاراته واتساع مداركه ، وزيادة دافعيته ونقله الى البيئة التفاعلية والاندماج مع الإمكانيات الرائعة التي تقدمها أدوات التواصل الرقمي بسرعة وكفاية ، وهي امكانيات تسعى الى خرق فكري منظم لأنظمة التعليم وبناء استراتجياته في جميع النواحي البشرية والكونية ، فلا شك أن الوسائل السمعية البصرية والذكاء الاصطناعي يوفران للأستاذ والطالب ما لم يكن يتوفر لهما في الطرق التعليمية التقليدية[1] .

[1] . لي أشلر شلوسر ومايكل سيمونسن، التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الالكتروني ، الجمعية المريكية للتكنولوجيا والاتصالات التربوية AECT ترجمة نبيل جاج عزمي ، الطبعة الثانية 2015، الصفحة مكتبة بيروت ، ص6.

والمقصود بالتعليم عن بعد ، هو كل ما يقدّم للطلاب الخارجين عن الحدّود الفيزيائية للمؤسسة التعليمية ، وذلك باستخدام وسائل تلفزيونية والكترونية متعدّدة تُغني عن حضورهم الى غرفة الصّف ،كما هو الحال في المؤسسات التربوية التقليدية (المدرسة/الجامعة)، وذلك عن طريق البّث الحي المباشر أو المسجّل أو الأقراص المدمجة[1] أو يمكن اختيار برامج وتطبيقات صوتية مرئية **Auditory Learners / Visual Learners / Written texts** تحتوي على مواقع تفاعلية تشاركية في مجال الأنظمة التعليمية وأساليب التدريس ، نذكر منها :

الواتس آب **wat up** ، قوقل ميت **google meet**، يوتيوب **you toub** ، زوم **zoom** ...وغيرها من المواقع التعليمية الحديثة التي تتوفر على شبكة الانترنيت من اللاب توب والهواتف الذكية ، لتسهيل عملية التواصل بين الأستاذ والطالب بشكل كاف ، ذلك أن التعليم عن بعد لا يقوم على اللقاءات والاتصالات الذاتية المباشرة وجها لوجه ، كما أنه يفتقد عنصر الحضور والتواجد الفيزيقي كما هو الشأن في التعليم التقليدي[2].

أدوات التواصل العلمي الرقمي وفاعليته في التعليم عن بعد :

لا ضير من أن نشير هنا ، الى أهمية استخدام وسائل التواصل العلمي العالمية وتكنولوجيا الانترنت في التعليم الجامعي ، حيث مكنت الأستاذ من الوصول إلى خبرات وتجارب تعليمية يصعب الوصول إليها بطرق أخرى ، وفي الوقت الحالي صارت لكل دول العالم برامج مستخدمة في تطوير وتوظيف هذه التقنيات الحديثة في التعليم ، فاستخدامها زاد من فرص التعليم واكتساب المهارات والخبرات لدى الطالب ، وامتدت بها إلى مدى أبعد من نطاق المدارس التقليدية ، وهذا ما عرف بمسمى 'التعليم الإلكتروني' الذي يعد "مصدرا ضخما للموارد والبيانات المرجعية المحتاج اليها في كل أنواع الأنشطة التعليمية المرتبطة بعملية التدريس والتعلم المباشر"[3].

وقد ساعد هذا التقدّم الحضاري بوجهيه الثقافي والتكنولوجي، الاعتماد على التقنية الحديثة في مجال الرقمنة التي أدت بدورها الى اكتشاف حياة الأستاذ والطالب على السواء، وذلك لفاعليتها في توظيف فكر حداثي فعّال يتّصف بالتصميم الجيّد والتفاعلية والتمركز حول الطالب في أي عصر ومصر كان، عن طريق الانتفاع

[1] . لي أشلر شلوسر ومايكل سيمونسن، المرجع نفسه ، مقدمة الكتاب ، ص د.

[2] . المرجع نفسه .

[3] . محمد الهادي ، محمد الهادي ، التعليم الالكتروني عبر شبكة الانترنت (أفاق تربوية متجددة)، تقديم حامد عمار ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة :2005 ، ص251

من الخصائص والمصادر المتوافرة في العديد من التقنيات الرقمية سويا مع الأنماط الأخرى من المواد التعليمية المناسبة لبيئات التعلم[1].

إذ تعتبر تقنية المعلومات، ممثلة في الوسائل السمعية البصرية كالحواسيب الآلية والهواتف الذكية وما يلحق بهما من برامج وتطبيقات متعدّدة، بيئة تعليمية ثرية تزود بيئات التعلم، بالنصوص المكتوبة والمنطوقة في شتى المواضيع ومختلف المستويات، ذلك أن التعليم الإلكتروني أو التعليم عن بعد أضحى ضرورة حتمية لتطوير طرق التدريس التقليدية باستخدام آليات الاتصال الحديثة التي تتوفر على شبكة الأنترنيت ووسائطها التقنية المتعددة من 'صوت وصورة ' بما يتيح ايصال المعلومة للطالب بأقل وقت وأقل جهد وأكبر فائدة[2].

من هنا أحرزت أدوات التواصل العلمي الرقمي حضورها الكلّي من جهة الأخذ بها، لتؤدي وظيفة تعليمية معينة، ومن ثم فهي المنتج للصوغ المهيمن تسلك مسلكا كلّيا لا يكاد يصارعها أو ينازعها من جهة الحضور وسيلة أخرى وهو ما يعرف عند أهل الاختصاص بالتكنولوجيا التربوية التي تعد "طريقة منهجية نظامية لتصميم العملية التعليمية بكاملها وتنفيذها وتقويمها استنادا الى أهداف محدّدة والى نتائج الأبحاث في التعليم والتعلم والتواصل في استخدام جميع المصادر البشرية وغير البشرية من أجل اكتساب التربية مزيدا من الفعالية" [3].

وفي رحاب هذا الفهم ، فقد أصبحت أدوات التواصل الرقمي عاملا مؤثرا في تطور نظم التعليم عن بعد في جميع أنحاء العالم ، تحول العالم من خلالها الى مفهوم العولمة ، بما يعني ذلك من جعل العالم كلّه قرية كونية صغيرة نتيجة لهذه التطورات التكنولوجية المتسارعة ، الأمر الذي دفع ببعض البيئات المختلفة والمتنوعة ـ التي يتم فيها تطبيق نظام التعليم عن بعد ـ لتفسير الأطر النظرية والممارسات التجريبية لهذا النظام ، ولذلك فقد تم تقديم عدّة نظريات يمكنها تفسير التعليم عن بعد في صورته التقليدية ، وهي تشمل على نظريات استقلالية وذاتية المتعلم/الطالب ، ونظريات التفاعل والاتصال ، وهذه النظريات التقليدية تركز على أن التعليم عن بعد هو صيغة مختلفة من التعليم ، بينما

1. محيى، عبد الله يحي، الجودة في التعليم الالكتروني :من التصميم إلى استراتيجيات التعليم ، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي للتعلم عن بعد، 27/ 29 مارس2006، عمان ،

2. الموسى ، عبدالله عبدالعزيز ، التعليم الإلكتروني (مفهومه ، خصائصه ، فوائده ، عوائقه) ، ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل ، في الفترة 16-2002/8/17 م ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، موقع :
https://islamfin.yoo7.com/t1094-topic

3. ديريك رونتري ، تكنولوجيا التربية في تطوير المنهاج ، ترجمة فتح الباب عبد الحليم ، المركز العربي للتقنيات التعليمية الكويت 1984، ص33.

ترتكز النظريات الناشئة حديثا على القدرات المتزايدة لنظم الاتصال التفاعلي بالصوت والصورة ، وعلى أن التعليم عن بعد ليس صيغة منفصلة عن التعليم[1] .

وتماشيا مع التطورات التكنولوجية في التفكير والبحث العلمي وأفق الترويج للمعرفة في جميع العلوم الاجتماعية والانسانية، تحدثت بعض الدراسات عن مستقبل التعليم العالي، وذكرت أنه بحلول العام 2025م، قد تصبح مؤسسات التعليم العالي التقليدية، من مخلفات الماضي رغم استمرارها في أداء دورها أكثر من قرنين من الزمن، وذلك نتيجة التغيرات العالمية في إنتاج المعرفة وتوزيعها والتي تدعمها ثورة الاتصالات والمعلومات والتكنولوجيا الحديثة[2].

المعايير الأساسية في مشروع التعليم عن بعد :

يتضمن التعليم عن بعد أربعة معايير أساسية، فإذا غابت احدى هذه المعايير، فسوف يختلف الوضع عما هو مفروض أن يكون عليه التعليم عن بعد، ومما هو قمين بالذكر أن هذا البرنامج يؤسس لمشروع ميداني واقعي يجمع بين المسلك والغاية للطالب، بعيدا عن تلك النظريات المكدّسة بعضها على بعض، والتي وُسم نمطها بين الطلاب بالثبات والسكون، ولهذا يشمل التعليم عن بعد على أربعة معايير أساسية، نذكرها كالآتي[3]:

1. الأداء المؤسسي: يقوم على فكرة المؤسسات التعليمية النظامية أو التقليدية (مدارس/ كليات)، وهو شرط من شروط التعاقد المطروح لعملية التعليم عن بعد، وحتى نميّز بين مفهوم التعليم عن بعد عن مفهوم التعلم الذاتي أو الدراسة المستقلة.
2. التباعد الزماني والمكاني بين الأستاذ والطلاب: قد يظن البعض أن التعليم عن بعد يشمل التباعد المكاني للمؤسسة المهنية فقط، أي أن تكون هناك مسافة مادية فاصلة بين المعلم والمتعلم، ولكن يتضمن ذلك أيضا التباعد الزماني، فالتعليم عن بعد غير متزامن، بمعنى تقديم التعليم في وقت ما واستقباله من جانب الطلاب في وقت آخر أو في أي وقت يختارونه، ولهذا لابد من تحديد واع لدرجة التباعد الزماني والمكاني بين طرفي العملية التعلمية الأستاذ والطلاب.

[1] . لي أرشر شلوسر ومايكل سيمونسن ، المرجع نفسه .

[2] . ناصر بن عبد الله ناصر الشهراني، رسالة دكتوراه في المناهج وطرق التدريس، مطالب استخدام التعليم الالكتروني في تدريس العلوم الطبيعية بالتعليم العالي ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى 1430هـ ،ص5.

[3] . لي أرشر شلوسر ومايكل سيمونسن ، المرجع نفسه ، ص2/1 .

3. الاتصالات التفاعلية: وهو معيار هام للغاية، ولكن ليس على حساب المحتوى التعليمي، بمعنى: أن نوفر تفاعلا مناسبا للطلاب لكي يتفاعلوا مع مصادر بحوثهم أو مع الأستاذ بشكل متاح ومنظم في آن واحد.
4. الربط بين الأستاذ والطلاب والمادة المقدّمة سوّيا، بمعنى جعل الطالب يتفاعل مع محتوى المادة المقرّرة لجعل التعليم ممكنا وناجحا، وهذا المحتوى لابد أن يخضع لإجراءات التصميم التعليمي المناسب، حتى يمكن استيعابه ضمن الخبرات التعليمية للطلاب، وبالتالي تعزيز التعلم، وقد تتضمن المادة المقدّمة مصادر مرئية أو محسوسة أو مسموعة، ويمكن توضيح هذه المعايير وفق الخطاطة الآتية :

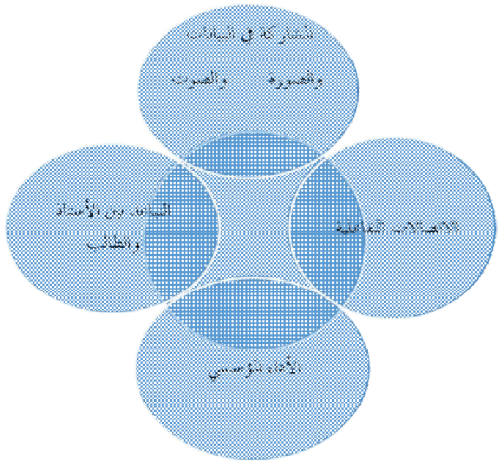

التعليم الجامعي بين الثلاثية التقليدية والثنائية الحداثية:

إن جملة من العقبات في التعليم الجامعي بمختلف أطواره تند عن الحلّ ، مرجعها الأساس خطورة انحدار مستوى التعليم التقليدي الذي يقوم على المفاهيم النظرية والتلقين ، أو ما يعرف بمسمى التعليم المغلق في حدّ ذاته إذ لا يزال مقيدا بمكان واحد هي الجامعة، وهو أيضا مقيّد بوقت معيّن للتعلم وبمرحلة معينة من العمر[1] ، ولو تقصينا الحديث عن واقع التعليم التقليدي ونوعية البحث العملي التطبيقي الذي يجرى في ضوء الدراسات النظرية والمحاضرات السابقة ذات العلاقة ـ لغرض تشخيصه وكيفية تقييمه وفق حدودُ المطلبِ الإفهامي الذي يريدُه الأستاذ والكشف عن أبرز المعوقات التي تحدّ من اجرائه ـ لوجدنا أنه بحث عقيم مستهدف من قبل مجموعة عوامل داخلية وخارجية أدت به إلى الضعف

[1] . روقاب جميلة / حاج هني محمد ، قضايا لغوية ومسائل في التعليمية ، الطبعة الأولى2016 ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر ، الجزائر، ص 108.

والتراجع عن القيام بفاعليته، وساعدت على شيوعه عند السواد الأعظم من الطلاب ، وعند حديث المعنيين عن هذا الاشكال ، نلاحظ أنهم يركزون فقط وبشكل مكثّف على حضور الطالب وتقديمه للعمل البحثي دون أخذ الأسباب الأخرى بعين الاعتبار، حيث صارت البحوث تكتب على ما يشتهي أصحابها معتمدين على أساليب التعمية والقص والنسخ واللصق ، غير أبهين بها ومعرفة محتواها .

لذلك، فقد بات من الضروري التركيز على تعليم أساليب البحث والتغطية الالكترونية والتحليل النقدي للمعلومات الرقمية، عديلا للشكل التقليدي المغلق الذي يقوم على مفاهيم النظرية والتلقين، ومن ثم ، فالتحدي الحالي هو تعليم الطالب هذه المهارات الجديدة للتعامل بشكل فعال يتناسب مع البيئة الرقمية الجديدة[1] ، فهناك حاجة ماسة لتفعيل ثلاثية التعليم التقليدي : الطالب / الأستاذ /المؤسسة التعليمية ، وتحويلها الى عملية تعليمية اكثر حداثة وعصرية وتشمل عناصرها : الأستاذ / الطالب(المتفاعل والمشارك الإيجابي) .

ولهذا نجد بعض المؤسسات التي تقدّم خدمات التعليم عن بعد ،تطالب بالتحوّل من التعليم الجمعي التقليدي الى نظم تعليمية تستخدم أساليب أقل مركزية ،وذلك لتلبية الاحتياجات السريعة للدارسين وفي معظم الدول ، فإن الحاجة الى التعليم عن بعد تتزايد بمعدلات كبيرة نتيجة للتغير السريع في احتياجات المجتمعات ، و تجاوز لعدة مشكلات اجتماعية وأخرى صحية واقتصادية ، تمثلت في البعد الجغرافي عن المؤسسات التعليمية ، وهو ما جعل الطلاب المتواجدين في المناطق النائية أو المناطق المعزولة ينظرون الى التعليم عن بعد على أنه فرصة للتفاعل والتواصل مع العالم الخارجي[2] ، بالإضافة الى أسباب أخرى تتمثل في عدم القدرة على الالتحاق بالتعليم النظامي كالأسباب الصحية أو الاقتصادية مثل العمل أثناء سنوات التعليم[3] .

بل وقد يكاد يكون الاجماع بين المشتغلين في حقل التكنولوجيا والمهتمين بالبحث العلمي في الجامعات العالمية المتقدمة ، على أن التعليم الالكتروني أو التعليم عن بعد ، يعدُ إضافة نوعية إلى المؤسسات العلمية التي وظفت إيجابيات العولمة واستفادت من تقنياتها المتنوعة ، تمثلت في أهمية المشاركة والتفاعل بين الأساتذة والطلاب في العديد من المؤتمرات المهنية والندوات العلمية التي تزايدت على تقنيات التواصل الرقمي في أنحاء مختلفة من العالم مما يساعد على نقل أفكار جديدة للطلاب

[1] . روقاب جميلة ، المرجع نفسه ، ص52 .

2 . التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الالكتروني ، لي أرشر شلوسر ومايكل سيمونسن ،الجمعية الأمريكية للتكنولوجيا والاتصالات التربوية / AECT ، ترجمة نبيل جاج عزمي ، الطبعة الثانية 2015 ، مكتبة بيروت ،.

. سعدية الأحمري ، التعليم الالكتروني ، ماجستير تقنيات التعليم ، 2015 ، ص3.15

وتيسير عملية التعلم[1] ، وقد كان هذا النوع من المشاركة بين الباحثين بالغ الصعوبة في ظل الأشكال التقليدية للتعليم .

ومن المفارقات التي يجدر تسجيلها ـ ههنا ـ أن التعليم عن بعد والتعليم المفتوح ليس شيئان مترادفان ، فالتعليم المفتوح يعد فرصة تعليمية ثانية تتاح لمن حرموا فرصة التعليم النظامي/التقليدي ، لكي يكتسبوا المعارف والمهارات المطلوبة في برامج التنمية المتاحة ولكل راغب في مواصلة دراسته العلمية أو المهنية سواء أكان في دورات طويلة أو قصيرة أو شهادات مهنية أو جامعية ، وهو ما يشير الى انفتاح الفرص أمام الأستاذ والطالب بإزالة الحواجز التي تتمثل في القبول والمكان والزمان والأسلوب والأفكار ، ومن هنا ، فإن التعليم المفتوح يرتبط في أغلب الأحيان بالتعليم عن بعد[2]، أما التعليم عن بعد في شكله النظري هو طريقة للتعليم يكون فيها المتعلم بعيدا عن المعلم في المكان والزمان ولا يوجد اتصال شخصي بينهما ، ولكن بدل ذلك تستخدم وسائط تكنولوجية متعددة لنقل التعليم وتوصيله الى المتعلمين تعتمد على المواد المطبوعة والمسموعة والمرئية والحركية .

لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: **ما مدى جاهزية الطلبة في التعليم عبر تقنيات التواصل الحديثة بديلا من الاكتفاء بالتعليم التقليدي الذي ألفوه ، وعلى النحو الذي يضيف قيمة محمودة تحفز الطالب على الاقبال عليها ويلتزمها بصورة معقولة وناجعة؟.**

لا يمكننا الاشتغال بفك هذه الاستفسارات المشروعة ، والمتصّلة بإشكالية البحث أصلا ، لكن يمكننا استثمار بعض الوسائل الاجرائية والمقاربات التواصلية المعتمدة في التعليم عن بعد ، من خلال توصيف تجربتي الجامعية في التعليم عن بعد مع طلبتي باستخدام تطبيق الواتس آب 'صوت وصورة ' كوسيلة تعليمية فعّالة وموجّهة على نحو إيجابي ومميَّز أتاحت لهم فرص تقديم عروضهم بكل أريحية في طرح المادة العلمية وشرحها ، وفق النمط الذي تقتضيه طبيعة الموضوع المقدّم ، ومن خلالها يكمن تقييم طلبتي وفق مستوى آدائهم الذي يختلف من واحد الى آخر ، غير أن حديث المعنيين في الإجابة عن السؤال نفسه بالطرق التقليدية ، نلاحظ أنهم يركزون فقط وبشكل مكثّف على حضور الطالب وتقديمه للعمل البحثي دون أخذ الأسباب الأخرى بعين الاعتبار، مع أنها أسباب تبدو جوهرية ساعدت على فشوّ ضعف الطالب في الجامعة، وصارت البحوث تكتب على ما يشتهي أصحابها غير أبهين بالتلفظ ودقّة الفهم وسلامة التعبير .

1 . زيدان حمدان ،تقييم وتوجيه التدريس ،ص275.

2 . لي أرشر شلوسر ومايكل سيمونسن ، المرجع نفسه ، ص6/5 .

ومن هذا المنظور يمكن القول، بأن الاستخدام الاجرائي المعتمد في فضاء التعليم عن بعد، يرتبط بأهداف واضحة ومحدّدة للطالب، يستطيع من خلالها الإجابة بشكل أوضح عن السؤال: **من أنا** ؟ **وماذا أريد**؟ وتأكيد للمفارقة بين التعليم التقليدي المبني على الاتصال التفاعلي المتبادل بين الأستاذ والطالب وجها لوجه والتعليم عن بعد الذي يعتمد على ذاتية الطالب بالدرجة الأولى، ولهذا وجب ضرورة تحديث النظر في التعليم الجامعي وتصميم محتواه طبقا للممارسات التجريبية :(الأهداف/ المساق، الاحتياجات، بلوغ المرام).

وتحيلنا قضية التركيز على الأهداف في حالة الاشتغال بالتعليم عن بعد ، على ما يحتاجه الطالب ـ باعتباره الطرف الأساس والفاعل في العملية التعليمية ـ من مُكنة علمية وعملية يستطيع أن يتجاوز بها صعوبات التعلم ، وتتمثل في مجموعة من القدرات والمهارات التي تنبئ عن كفاءته التواصلية في بناء المعرفة ، كالقدرة على التعليل والتوضيح والتمثيل والبناء والتحاور بينه وبين والأستاذ عبر الخط المباشر ، وذلك من خلال المناقشة والتعليق على محتوى المادة الدراسية المقدّمة ، والتمرن على قراءة المفاهيم الرئيسية لها ، ولعلّ أكثر ما شد انتباهي في مدارسة الطلبة لأعمالهم هو قُدرتهم على عرض أعمالهم العلمية في جانبها التطبيقي الإجرائي بشكل مُميّز ، حتى يقتنع الأستاذ فكرا ووجدانا بمدى أصالة بحثه الذي يبعث على الشعور بالاعتزاز والأريحية ، وهو ما يعزز شخصيّته ويسمح له بالعمل والمتابعة بما فيها شغف وملاحقة ، بعيدا عن التعقيد والغموض .

وبالتالي فإن هذه الممارسة التفاعلية التخاطبية تدفع الطالب الى المتابعة والانتباه بجدية واهتمام وتحفزه على الابداع، على عكس التعليم النظامي القديم الذي وسم نمطه في الجامعات والمدارس الجزائرية بالثبات والسكون والاستقرار "وكأن لهذا النظام التعليمي منهج يزرع ثقافة الطاعة والسكون، وهزيمة الذات واحباط فطرة الانسان في حب الاستطلاع والتساؤل"[1]، فهي كلّها عناصر شائكة تزيد الأمر تقاعسا وحرجا للطالب .

ولعلّ المتصفّح للمقررات الدراسية في التعليم النظامي القديم الموّجه للأستاذ يرى فيه جملة من النقائص غطتها بعض الحسنات التي تسعى لتنمية المهارات والقدرات، التي من واجبها أن تحقق من خلال جملة من الأهداف وهي نتائج متوقعة من الطالب بعد مدة من تكوينه، وكأن الأستاذ يقوم باستحضار التراث الأدبي بحفظه ونقله الى الطلبة وفق التسلسل المنطقي من البسيط الى المركب ومن الخاص الى العام ، ومن المحسوس الى المجرد[2].

1. روقاب جميلة ، المرجع نفسه ، ص124.

2 . المرجع نفسه.

وكلّما تمكن الطالب من ترتيب جوانب حياته العلمية التعلمية وتنظيمها في حدود ما يمكن حدوثه، وتقييم واقعية أهدافه من خلال عناصر الاهتمام والرغبة والقدرة والمرجع والتحدّي، ومدى اطلاعه وتنوع معرفته، واعتماده على تقنيات التصحيح والتصويب بمفرده وأدوات تحليل لسانيات الخطاب في المقاربات النصّية المقترحة عليه بكل تلقائية ، وكذا تعميق مهاراته الاتصالية بإشراكه المباشر كمساهم لا كمتلقي ، من هنا ، يصبح الطالب عن طريق هذه القدرة التواصلية الهائلة منتجا ومبدعا بصورة أنجع وأصدق ، وهذا فيه تطابق الى حدّ بعيد مع ما قامت به الباحثة الأمريكية تريزا أمابيل مع ستان كريسكويتش بدراسة العوامل التي تؤثر على الابداع لدى العلماء وجاءت النتائج لتؤكد ما سيمونه 'بمبدأ الدافعية الذاتية للإبداع' الذي مبعثه الاهتمام الشخصي بالعمل أو الشعور بالتحدي إزاء عمل ما[1].

وتأسيسا على ما ذكرناه سابقا، فإن التخطيط الجيّد في العملية التعليمية يكشف بوضوح، إمكانية الركون الى معطيات الطالب واستلهام اتجاهاته الفكرية ذات البعد النفسي، جراء الاهتمام بسيكولوجيته كهدف أساسي للعملية التعلمية، وربما هذا ما قصده الباحثين والتربويين من التعليم عن بعد، وكل ما يحتاجه الأستاذ "هو نشاط مخطط ومنهجي يتضمن اختبار واعداد وتقديم المواد التعليمية، وأيضا الاشراف على الطلاب وتدعيم تعلمهم بتخطي المسافات الفيزيقية بينهم عن طريق أحد الوسائط التكنولوجية المناسبة على الأقل"[2].

بالتأمل في بنية هذا التخطيط ، يتبيّن لنا أن التعليم عن بعد أو التعليم الالكتروني خصوصا هو أحد أكثر نظم التعليم انتشارا في الوقت الحالي ، اذ يخلق لنا الطالب الفعال القادر على صقل مهارته وتنمية قدراته المعرفية على نحو متواصل أكثر مما كان عليه داخل الفصل الدراسي أو القسم ، وأصبح بالإمكان أن يتحاور ويتفاعل الطالب والأستاذ عن طريق هذه التقنيات الحديثة تفاعلا إيجابيا يحقق للطالب الفهم التام لنشاطه وأدائه الجامعي ، ويحقق للأستاذ وعيا باحتياجات الطالب ونقاط الضعف والقوة عن طريق التقييم المستمر لمستواه العلمي ، بما يضمن تقدير امكاناته وتوجيهه الوجهة التي تحقق الهدف من العملية التواصلية التعلمية بأعلى كفاءة ممكنة .

وواضح أن هذه الصّلة الوثيقة بين الأستاذ والطالب ، هي ما جعلت بعض المختصّين في التعليم يرون أن التدريس ليس مجرد نقل المعرفة وتلقينها ، أو الحث على الحفظ والاستظهار[3]، وإنمّا يتطلب معرفة أصول التدريس وقواعده ممن يعدّون أنفسهم لمهمة التدريس ، وقيمة ما لديهم من استعداد لهذه المهمة الشائكة التي تأبى العيش في ظلال ثابتة ، إلا من جرَوا على عرق وعملوا على شاكلة اللوجستيين

1 . طارق محمد السويدان ومحمد أكرم العدلوني ، مبادئ الابداع ، الطبعة الثانية 2002 ، شركة الابداع الخليجي للاستثمارات والتدريب ، الكويت، ص84.

. لي أرشر شلوسر ومايكل سيمونسن ، المرجع نفسه ، ص2.3

. روقاب جميلة ، المرجع نفسه ، ص3.106

للمؤسسة أو المشروع ، جعلوها حلوة سهلة قابلة للفحص والاختبار ، ومعيارا بها يرفع التعليم إلى مستواه الذي يستند الى جملة من القواعد والمبادئ عند ممارسة التدريس والتفاعل مع الطلاب.

وقد شهدت الجزائر على غرار البلدان العربية مراحل تطورية في التدريس، إذ كانت بدايته الأولى بالمضامين لتتحول الى طريقة التدريس بالأهداف وصولا الى التدريس بالكفاءات، ذلك أن التدريس الجيّد يشمل قدرة المدّرس على تنظيم مجموعة من الطلبة وادارتهم وضبطهم بأقل قدر ممكن من التخبط، ومع ذلك فإن هناك من يعتقد أن التدريس وسيلة واحدة من الوسائل المؤدية الى التعلم[1] .

انه الفضاء ، الذي يدفع الطالب عبر هذه المحادثة التعليمية الارشادية الى زيادة الحوار والتفاعل البينّي من خلال المادة العلمية المطروحة في مقررات معدة سلفا، بشكل مميّز يجعله يضبط الغايات التعليمية المتوخاة والأهداف المنشودة ، كما أتاحت له هذه التخاطبية تخطي الحواجز والحدود التي ألفها في حجرات الدرس أمام الجماعة ، وهذا ما يعزز شخصيته وينمي مهاراته وقدراته على الابداع والتفكير ، من هُنا ، يتّضح لنا أهمية هذه التّقنية الحديثة التي تُعتبر مرجعا مهّما يسهّل عملية التّفاعل بين الأستاذ وطلابه ، من مرحلة التلقين الى مرحلة التوجيه والتشارك.

كما لا يخفى على الأستاذ مراعاة مستوى الطالب ، وأن يتكيف مع كل مرحلة من مراحل تعليمه الجامعي (الليسانس/الماستر/الدكتوراه)، ليلامس حاجات الطالب التربوية ورغبته السيكولوجية في التعليم ، واعطاء كل مرحلة حقّها من جميع جوانبها أولا ، ولتمكّن أدواته الإجرائية من الغوص في أغوار عقله والتأثير الإيجابي فيه ثانيا ، تدعيماً له بهدف تكوين كفاءات علمية مؤهلة ، تعتمد على الذات بالدرجة الأولى ، مما يجعل الأستاذ الناجح موجّها ومرشدا ومخطّطا للموقف التعليمي التربوي ، أي أن دور الأستاذ يجب أن يتغير ، فبدلا من أن يكون ملقّنا وموصلا للمعلومات فحسب ، يجب عليه أن يصمّم الموقف التعليمي والسيناريو المرتبط بالتعليم ، وبذلك يصبح دور الطالب مشابها لدور مهندس المعلومات أو مهندس المعرفة المعاصرة"[2] .

وعبر هذا المأخذ ، فان أهم ميزة ينماز بها الأستاذ كفاءته المعرفية في التعامل مع الطلاب ، وقدرته على التعامل مع التقنيات الحديثة والوسائط الاتصالية المتطورة ، كالوسائل السمعية البصرية وامكانية استخدامها في المجال التعليمي على مستوى اعداد الدروس وأدائها ، فكل هذه الأدوات التعليمية تساعده على مواصلة تطوير وظيفته عن بعد لما تقدمه من فوائد نفعية جمّة ، كتنوع مادته واشتمالها على تخصصات متنوعة ، سهولة البحث وسرعته وتخزين المعلومات واسترجاعها ، ومما لا شك فيه أن

---

[1] . المرجع نفسه ، ص 103.

[2] . محمد الهادي ، التعليم الالكتروني عبر شبكة الانترنت (أفاق تربوية متجددة)، ص71.

استخدام هذه التقنيات الرقمية وذيوعها "في المؤسسات التعليمية المختلفة أدت الى ضرورة احداث تغييرات في تأهيل المعلمين قبل تقلدهم العمل وبعده ، كما ساهم أيضا في اصلاح السياسات التعليمية التي توجه تنمية المعلمين مهنيا"[1]

في ظل هذا المقترح الوظيفي، يحمل المدرّس بين دفتيه مهارتين: الأولى هي مراعاة مضمون مهامه الأكاديمية التربوية المقدّمة للطالب تبعا لمستوياته التعليمية التي يمر بها ، لأن المحتوى المعرفي الذي ينسجم مع مراحل الطالب يساعده على نمو الجانب الإنساني فيه من حب وجمال واصلاح وتواصل ، ولهذا وجب الحفاظ على هذه الخاصّية التي تعد ثابتا من ثوابت مهمتنا الانسانية، أما المهارة الثانية فهي تتعلق بخطوات الاتصال الفعال ومهاراته وأنماطه في مجال التعلم والتعليم ، والقاء الضوء على أهم الوسائط التكنولوجية المساعدة على انجاح عملية الاتصال وتلك التي تُعيقه، فلم يعد تطبيق الاستخدامات التعليمية للحاسوب بشكل بطيء داخل الحجرة الدراسية، بل أصبحت حاجة المدّرس ماسة لأن يكون ماهرا في استخدام الحاسوب وتقنياته المختلفة من أجل تطوير وانتاج المواد والوسائل التعليمية[2] .

شكلت هتين الخاصيتين نبرة فنّية ومادة علمية دسّمة يعتمدها الأستاذ ليبلغ بها المرمى القصِّي من جهده التربوي ويدعم بها رصيده المهني ، الأمر الذي يجعله باختلاف اتجاهاته وغاياته وآلياته المنتهجة أن يكون بمثابة الموجّه المعرفي والميسّر التربوي لحدود واقع التعليم الجامعي ، في ضوء ما تقدمه وسائل الاتصال الرقمية من خدمات تمكنه من الاطلاع على كل ما هو جديد وحديث في طرق تدريس مادته ، بما يمكن من تعديل أسلوب شرحه ومعالجته للمادة العلمية المقدمة ، ومن ثم يرتقي بلغته وخياله ومعارفه وفنونه لتحقيق الوظائف التربوية والأخلاقية والفنّية والجمالية .

فالتعليم مهما كان نوعه وموطنه، لا يعترف به الاّ اذا أدى نتائج عملية مرجوة يمكن التماسها، ذلك أن أي عمل مرتبط أساسا بنتائجه وآثاره العملية المترتبة عليه، وللعمل الناجح مع العملية التعليمية الجيّدة أساليب وتقنيات يجب أن تستغل وتوظف، بشكل صائب وفعّال ، بحيث يتعين على المعلمون تكوينا خاصا يعينهم على تنمية قدراتهم ومهاراتهم التي قد تؤهلهم على أداء تعليمي فعال في بيئات التعلم المساعدة بالتكنولوجيا التعليمية المتطورة يستطيع استيعابه المتعلم وادراكه بكل يسر وسهولة ونجاح، سواء كان في شكل مكتوب أو مسموع .

---

[1] . المرجع نفسه ، ص71.

[2] . أكرم فتحي مصطفى ، رؤية ونماذج تعليمية معاصرة في التعلم عبر مواقع الانترنت ، القاهرة: عالم الكتب،2006 ، ص73.

لذا يحق لنا نحن الأساتذة أن أن نبدي احتراسا كبيرا على ضرورة تحقيق أعلى استفادة من إمكانات الاتصال الرقمي وتكنولوجياته ، حرصا منا على ثقافة الطالب العلمية والأخلاقية بما يلبي المسئوليات المنوطة بنا ، ونعطيه جلّ اهتمامنا ورعايتنا بالممارسة والإجراء لتحقيق تواصل علمي ناجع ، وفق منهج جدير بالتأمل والتدبّر" ذلك أن تنمية القدرة الخلاّقة والمبدعة تصبح هي الهدف الأسمى لأي تثقيف"[1] ، ولهذا وجب الاهتمام بكل ما يتّصل بحاجاته التربوية ، والسعي الحثيث للبحث عن الحلول الملائمة له كنقطة انطلاق أساسية من أجل اعداده في مواجهة المستقبل متفاعلا معززا بالثّقة مؤمنا بقيم المحبة والسلام بين الحضارات والثقافات والأديان .

قائمة المصادر والمراجع :

1 . لي أشلر شلوسر ومايكل سيمونسن، التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الالكتروني، الجمعية المريكية للتكنولوجيا والاتصالات التربوية AECT ترجمة نبيل جاج عزمي ، الطبعة الثانية 2015، الصفحة مكتبة بيروت .

2 . محمد الهادي ، محمد الهادي ، التعليم الالكتروني عبر شبكة الانترنت (أفاق تربوية متجددة)، تقديم حامد عمار ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة :2005 .

3 . محيى، عبد االله يحي، الجودة في التعليم الالكتروني: من التصميم إلى استراتيجيات التعليم، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي للتعلم عن بعد، 27/ 29 مارس2006 .

4 . الموسى ، عبدالله عبدالعزيز ، التعليم الإلكتروني (مفهومه ، خصائصه ، فوائده ، عوائقه) ، ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل ، في الفترة 16-2002/8/17 م ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود.

5 . ديريك رونتري ، تكنولوجيا التربية في تطوير المنهاج ، ترجمة فتح الباب عبد الحليم ، المركز العربي للتقنيات التعليمية الكويت .1984

6 . سعدية الأحمري ، التعليم الالكتروني ، ماجستير تقنيات التعليم ، .2015

7 . زياد حمدان ،تقييم وتوجيه التدريس ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: .1986

8 . روقاب جميلة / حاج هني محمد ، قضايا لغوية ومسائل في التعليمية ، الطبعة الأولى2016 ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر ، الجزائر.

9 . طارق محمد السويدان ومحمد أكرم العدلوني ، مبادئ الابداع ، الطبعة الثانية 2002 ، شركة الابداع الخليجي للاستثمارات والتدريب ، الكويت.

10 . أكرم فتحي مصطفى ، رؤية ونماذج تعليمية معاصرة في التعلم عبر مواقع الانترنت ، القاهرة: عالم الكتب،2006.

[1] . محسن ناصر الكناني 'سحر القصة والحكاية' ، بحث عن النسخ الصاعد في نصوص حكائية ونصوص قصصية للأطفال منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا ، ص17 .

11 . محسن ناصر الكناني 'سحر القصة والحكاية' ، بحث عن النسخ الصاعد في نصوص حكائية ونصوص قصصية
للأطفال منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.